

شرح السنة

للإمام إسماعيل بن يحيى المزني

(المتوفى: ٢٦٤هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَوَافِقَةِ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ:
فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَوْضَحَ لَكَ مِنَ السُّنَنِ أَمْرًا تُصَبِّرُ نَفْسَكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِ،
وَتَذَرُ بِهَا عَنْكَ شُبُهَةَ الْأَقَاوِيلِ، وَزَيْغَ مُحَدَّثَاتِ الضَّالِّينَ، وَقَدْ شَرَحْتُ لَكَ مِنْهَا جَاءًا
مُوضِحًا، لَمْ أَلْ نَفْسِي وَإِيَّاكَ فِيهِ نُصْحًا، بَدَأْتُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ ذِي الرُّشْدِ وَالتَّسْدِيدِ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحَقُّ مِنْ ذِكْرٍ، وَأَوْلَى مِنْ شُكْرٍ، وَعَلَيْهِ أَتْنِي: الْوَاحِدُ الصَّمَدُ،
لَيْسَ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، جَلَّ عَنِ الْمَثِيلِ، فَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ، السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ، الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، الْمَنِيعُ الرَّفِيعُ.

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالْأُمُورِ، وَأَنْفَذَ فِي خَلْقِهِ سَابِقَ الْمَقْدُورِ، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، فَالْخَلْقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ، وَنَافِذُونَ لِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ
مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْعًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى صَرْفِ
الْمَعْصِيَةِ عَنْهَا دَفْعًا.

خَلَقَ الْخَلْقَ بِمَشِئَتِهِ عَنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَانَتْ بِهِ، وَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ جَمِيعًا
لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ، فَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ بِقُدْرَتِهِ لِلْعَرْشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ
مِنْهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصْطَفَى مِنْهُمْ رُسُلًا

إِلَى رُسُلِهِ، وَبَعْضُ مُدَبِّرُونَ لِأَمْرِهِ.

ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لِلْأَرْضِ خَلْقَهُ، وَنَهَاةً عَنْ شَجَرَةٍ قَدْ نَفَذَ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِمَا نَهَاةً عَنْهُ مِنْهَا، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ فَأَعْوَاهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ أَكْلَهُ لَهَا إِلَى الْأَرْضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَى تَرْكِ أَكْلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنْهُ لَهَا مَذْهَبًا.

ثُمَّ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلًا، فَهُمْ بِأَعْمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدْرَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ يَنْفُذُونَ، وَخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهْلًا، فَخَلَقَ لَهُمْ أَعْيُنًا لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَأَذَانًا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى مَحْجُوبُونَ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعْمَلُونَ.

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَهُمَا سِيَانِ وَنِظَامَانِ وَقَرِينَانِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، لَا إِيمَانٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْإِيمَانِ يَتَفَاضِلُونَ، وَبِصَالِحِ الْأَعْمَالِ هُمْ مُتَزَايِدُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَكْفُرُونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصْيَانٍ، وَلَا تُوجِبُ لِمُحْسِنِهِمُ الْجَنَانَ بَعْدَ مَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَى مُسِيئِهِمُ بِالنَّارِ.

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ، وَمِنْ لَدُنْهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ.

وَكَلِمَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ كَامِلَاتٌ غَيْرُ مَخْلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيْسَتْ بِمُحَدَّثَاتٍ فَتَبِيدُ، وَلَا كَانَ رَبَّنَا نَاقِصًا فَيَزِيدُ، جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنْ شَبْهِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَقَصُرَتْ عَنْهُ فِطْنُ الْوَاصِفِينَ، قَرِيبٌ بِالْإِجَابَةِ عِنْدَ

السُّؤَالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لَا يُنَالُ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مُوجُودٌ وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ وَلَا بِمَفْقُودٍ.

وَالْخَلْقُ مَيِّتُونَ بِأَجَالِهِمْ عِنْدَ نَفَادِ أَرْزَاقِهِمْ وَانْقِطَاعِ آثَارِهِمْ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ الصَّغْطَةِ فِي الْقُبُورِ مُسَاءِلُونَ، وَبَعْدَ الْبَلَى مَنُشُورُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، وَلَدَى الْعَرْضِ عَلَيْهِ مُحَاسِبُونَ، بِحَضْرَةِ الْمَوَازِينِ وَنَشْرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسَّوَهُ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ ﷻ الْحَاكِمَ بَيْنَ خَلْقِهِ، لَكِنَّهُ اللَّهُ يَلِي الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ بِمِقْدَارِ الْقَائِلَةِ فِي الدُّنْيَا ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾، كَمَا بَدَأَهُ لَهُمْ مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَوْمَئِذٍ يَعُودُونَ، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَاتِ يَتَلَذَّذُونَ، وَبِأَفْضَلِ الْكَرَامَةِ يُخْبَرُونَ، فَهُمْ حِينَئِذٍ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْظُرُونَ، لَا يَمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا يَشْكُونَ، فَوْجُهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاضِرَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاضِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، ﴿أَكُلُوا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

وَأَهْلُ الْجَحْدِ ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾، وَ﴿فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، ﴿لَيْسَ مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

خَلَا مِنْ شَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤَخِّدِينَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا.

وَالطَّاعَةُ لِأُولِي الْأَمْرِ فِيمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَرْضِيًّا، وَاجْتِنَابُ مَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُسْخِطًا، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عِنْدَ تَعَدِّيهِمْ وَجَوْرِهِمْ، وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ كَيْمَا يَعْطِفَ بِهِمْ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ.

وَالْإِمْسَاكُ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ فِيمَا أَحَدَثُوهُ مَا لَمْ يَبْتَدِعُوا ضَلَالًا، فَمَنْ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا كَانَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ خَارِجًا، وَمِنَ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهْجَرُ وَيُحْتَقَرُّ، وَنُجِّنَبُ غُدَّتُهُ؛ فَهِيَ أَعْدَى مِنْ غُدَّةِ الْجَرَبِ.

وَيُقَالُ بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ، فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَخَيْرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُشِنِي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؓ، فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُثِّلَتْ بِذِي الثَّوَرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ؓ، ثُمَّ بِذِي الْفَضْلِ وَالثَّقَفِيِّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ الْبَاقِينَ مِنَ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ أَوْجَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَنَّةَ، وَنُخْلِصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ بِقَدْرِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ التَّفْضِيلِ، ثُمَّ لِسَائِرِ أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ ؓ أَجْمَعِينَ.

وَيُقَالُ بِفَضْلِهِمْ، وَيُذَكَّرُونَ بِمَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ، وَنُمْسِكُ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ، ارْتَضَاهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُمْ أَنْصَارًا لِدِينِهِ، فَهُمْ أَيْمَّةُ الدِّينِ وَأَعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ ؓ أَجْمَعِينَ.

وَلَا نَتْرُكُ حُضُورَ الْجُمُعَةِ، وَصَلَاتَهَا مَعَ بَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفَاجِرِهَا لَا زِمَّ، مَا كَانَ

مِنَ الْبِدْعَةِ بَرِيئًا، فَإِنْ ابْتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلْفَهُ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ وَالْحَقُّ.

وَإِقْصَارُ الصَّلَاةِ فِي الْأَسْفَارِ، وَالتَّخْيِيرُ فِيهِ بَيْنَ الصَّيَامِ وَالْإِفْطَارِ فِي الْأَسْفَارِ، إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الْمَاضُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى، وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدُورَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّفَ فِيمَا كُفُوا، فَسَدَّدُوا بِعَوْنِ اللَّهِ وَوُفَّقُوا، لَمْ يَرْغَبُوا عَنِ الْإِتِّبَاعِ فَيَقْصُرُوا، وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ تَزْيِيدًا فَيَعْتَدُوا، فَنَحْنُ بِاللَّهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيْهِ فِي إِتِّبَاعِ آثَارِهِمْ رَاغِبُونَ.

فَهَذَا شَرْحُ السُّنَّةِ تَحَرَّيْتُ كَشْفَهَا وَأَوْضَحْتُهَا، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِمَا أَبْنَتْهُ مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالْإِحْتِيَاظِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ الطَّهَّارَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْإِسْتِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى أَهْلِ الْجَدَاتِ، وَالْحَجِّ عَلَى أَهْلِ الْجَدَّةِ وَالْإِسْتِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ لِأَهْلِ الصَّحَاتِ.

وْخَمْسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَعْدِ الصَّلَوَاتِ: صَلَاةُ الْوُتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَرَكَعَتَا الْفَجْرِ، وَصَلَاةُ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ، وَصَلَاةُ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا نَزَلَ، وَصَلَاةُ الْإِسْتِسْقَاءِ مَتَى وَجَبَ.

وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَالْإِحْتِرَازُ مِنَ النَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ يُقَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، كُلُّ هَذَا كِبَائِرُ مُحَرَّمَاتٍ.

والتَّحَرِّي فِي الْمَكَاسِبِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَحَارِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ،
وَاجْتِنَابُ الشَّهَوَاتِ فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى
فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَوَاقَعَ الْحِمَى.

فَمَنْ يُسِّرْ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَى هُدًى، وَمِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى رَجَا، وَوَفَّقَنَا
اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى سَبِيلِهِ الْأَقْوَمِ، بِمَنْنِهِ الْجَزِيلِ الْأَقْدَمِ، وَجَلَالِهِ الْعَلِيِّ الْأَكْرَمِ .
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلَا يَنَالُ
سَلَامُ اللَّهِ الضَّالِّينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

